كالبحرين أهلها مالكية ، تجده يصير مالكيًّا ، ولو نشأ في بلد كبلدي أهلها على المذهب الشافعي يصير شافعيًّا ، ولو نشأ في تركيا سيكون حنفيًّا ، وهكذا فالإنسان يكون تبعًا لمذهب أهل البلد الذي نشأ فيه ، ولكن كل ما ننصح به المسلم أن لا يتعصَّب لمذهبه ، وأن يسأل إذا لم يعلم .

وإن اختلف عليه العلماء في الفتوى ، فليصنع كما يصنع المريض إذا اختلف عليه الأطباء في المرض ، عندما يذهب إلى طبيب فيقول له شيئا ، ويذهب إلى ثان فيقول له شيئا ، ويذهب إلى ثالث فيقول له شيئا آخر . ماذا يفعل مَن اختلف الأطباء عليه في التشخيص ؟ !

لا بدَّ أن يُرجح ، وأن يختار ، ولا بدَّ أن يكون هناك معيار للترجيح والاختيار ، فيرجح الطبيب مثلا على أساس الشهرة ؛ لأنه مثلا مشهور أكثر من غيره . أو التخصص ، فهذا تخصُّصه أساسي عن هذا . أو على الأكثر ، فثلاثة قالوا كذا ، وواحد خالفهم ، وهكذا . فعنده معايير ينتهي فيها إلى أنه يرجِّح هذا عن هذا ، وهذا ما يفعله الإنسان حينما يختلف عليه العلماء ، ولا يكلِّف الله نفسا إلا ما آتاها .

صلاة المرأة في المسجد :

السؤال : ما الحكمة من جعل ثواب صلاة المرأة في بيتها أعظم أجرًا من المسجد ، بالرغم من أنَّها اليوم لم تترك مجالاً إلا وخاضته ؟

الجواب : للإجابة على هذا السؤال ينبغي توضيح أمرين :

الأمر الأول : أمر الأفضلية ، وهو أن صلاة المرأة في بيتها أفضل .

والأمر الثاني : هو أمر جواز صلاة المرأة في المسجد ؛ لأن بعض النَّاس يجعلون من الأفضلية سبيلاً لمنعها من المسجد .

أولا : موضوع الأفضلية : فيه خلاف ، فابن حزم ـ وهو من الظاهريين كما قلنا ـ لم يصحِّح الحديث الذي يقول : « صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها ، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها »[1] .

قال ابن حزم : (لو صح فيه أن صلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في مسجدها ـ وهذا لا يوجد أبدا من طريق فيها خير ـ لما كانت فيه حجة ، لأنه كان يكون منسوخا بلا شك ، بما ذكرنا من تركه ـ عليه السلام ـ لهن يتكلفن التكلف في الغبش ، راغبات في الصلاة في الجماعة معه إلى أن مات

---

(١) رواه أبو داود في الصلاة (٥٧٠) ، وابن خزيمة في الإمامة (١٦٨٨) ، والحاكم (٢٠٩/١) وصححه على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٥٧٩) ، وصححه النووي في المجموع على شرط مسلم (١٩٨/٤) ، عن ابن مسعود . ولكن الشيخ أقر رأي ابن حزم في الحديث .

ـ عليه السلام ـ ، فهذا آخر الأمر بلا شك ؟)[1]. وناقش ابن حزم هذا الأمر في موضعين[2].

فموضوع أفضلية صلاة المرأة في بيتها أمر لم يُتَّفق على صحَّته . ومع هذا ، فهذا شيء ومنع المرأة من الصلاة في المسجد شيء آخر ؛ لأن الحديث الصحيح يقول : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله »[3] . فإذا أحبَّت المرأة أن تصلِّي في المسجد لا يجوز لزوجها أن ينكر عليها .

أنكرت السيدة عائشة رضي الله عنها فقالت : لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن كما منعت نساء بني إسرائيل[4] .

وكان نوعًا من الإنكار على النساء اللاتي خرجن متطيبات متعطرات ، فأخذ هذا القول بعض العلماء دليلا على منع المرأة من المسجد .

وجاءت عصور حُرمت المرأة من الذهاب إلى المسجد ، وقال بعضهم : لا تذهب إلى المسجد إلا العجوز ، أما الشابة

---

(١) المحلى (٣/١١٦، ١١٧) .

(٢) المصدر السابق (٢/١٧٠- ١٧٧) ، (٣/١١٥- ١١٧) .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في الجمعة(٩٠٠) ، ومسلم في الصلاة (٤٤٢) ، عن ابن عمر .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في الأذان (٨٦٩) ، ومسلم في الصلاة (٤٤٥) ، عن عائشة .

فلا تذهب[1] . ثم جاء من بعدهم فشدَّدوا وقالوا : حتى العجوز ، فلكل ساقطة لاقط[2] . وكما قال الشاعر :

لكل ساقطة في الحيِّ لاقطة وكلُّ كاسدة يومًا لها سوق

ثم جاء عصرنا ، وخرجت المرأة ، وذهبت إلى المدرسة ، فالجامعة ، وذهبت إلى السوق ، وسافرت إلى الخارج ، وبقيت المرأة ـ للأسف ـ ممنوعة من المسجد وحده ، فهي تذهب إلى كلِّ مكان إلا المسجد ، وهذا في الحقيقة ليس إنصافًا .

ثم إن في المسجد أشياء غير الصلاة كالموعظة ، ومَن منع المرأة من الخروج قالوا : وعلى زوجها أو أبيها أن يعلماها .

فإذا كان الأب أو الزوج ، غير متعلِّم ، وهو نفسه بحاجة إلى التعليم ، وفاقد الشيء لا يعطيه ، فمن أين تتعلَّم المرأة ؟!

ومن هنا جاءت عصور مرَّت على المرأة المسلمة ، لا تكاد المرأة تصلِّي ، وكان كثير من النساء لا يعرفن شيئا من الدين ، فتعيش المرأة وتموت وهي جاهلة بدينها ، لم يعلمها أحد ، فالرجل يذهب إلى المسجد ، يستمع إلى موعظة الجمعة ، أو إلى دروس في المسجد ، لكن المرأة ليس لها في هذا نصيب .

---

(١) البحر الرائق لابن نجيم (٣٨٠/١) .

(٢) تبيين الحقائق لعثمان الزيلعي (١٣٩/١) .

ولذلك فمنع المرأة من الصلاة شيء ، لكن منعها من المواعظ والدروس شيء آخر ، بل في خروجها للمسجد تقوية لدينها ، فحينها تلتقي بالنساء الصالحات ـ خاصة في عصرنا ـ ونحن بحاجة أن تلتقي المرأة المتدينة بالنساء الملتزمات أمثالها ، ليشددن أزرها ، ويقوين عضدها .

ولذلك لا تُمنع المرأة من الذهاب إلى المسجد ، وخصوصًا إذا كان في ذهابها فوائد أخرى ، بل ينبغي أن تُحَثَّ على الذهاب إلى المسجد .

ولو نظرنا إلى الواقع ، لوجدنا أن المسلمين فقط هم الذين لا تذهب نساؤهم إلى معابدهم ، فالمرأة النصرانية تذهب إلى الكنيسة ، واليهودية تذهب إلى البيعة ، والهندوسية تذهب إلى المعبد ، فلماذا تُحرم المسلمة وحدها من الذهاب إلى المسجد لتشارك في العبادة الجماعية ؟ بل إني أرى أنه لا بدَّ أن يكون في كل مسجد مكان مخصَّص للنساء ، وبخاصة أن المرأة صارت في معزل عن الرجل في المسجد ، فقد كانت النساء في مسجد النبي ﷺ يُصلين خلف الرجال ، ولم يكن هناك ساتر ، لا بالخشب ، ولا بالقماش ، ولا بشيء آخر ، وكانوا يدخلون من باب واحد مع الرجال ، فقال رسول الله : « لو تركنا هذا الباب للنساء » . قال نافع : فلم يدخل منه

ابن عمر حتى مات[1] . فظلَّ هذا الباب للنساء إلى يومنا هذا ، ومن ذهب إلى المسجد النبوي ، وجد هناك بابا اسمه (باب النساء).

فيجب علينا أن نعود إلى العهد الأول ، فليس هناك أفضل مما كان عليه الصحابة ومَن تبعهم بإحسان .

الجهاد في فلسطين وفي أفغانستان :

السؤال : هل الجهاد في فلسطين أهم من أفغانستان ، أم العكس ؟ !

الجواب : الجهاد في فلسطين غير متيسِّر أصلا ، ولا شك أن قضية فلسطين ينبغي أن تكون هي القضية الأولى ، لأنها تتعلَّق بمقدَّسات معينة ، وبصراع مع أشد النَّاس عداوة للذين آمنوا ، وهي في قلب المنطقة العربية والإسلامية ، ولكن المشكلة أنك لا تستطيع أن تصل إلى هناك ، لو أن المقصود بالذي يذهب إلى هناك من الفلسطينيين أنفسهم ، فيستطيع أن يذهب إلى هناك عن طريق أهليهم ، أو غير ذلك فهذا هو الأفضل يقينًا ، ولكن المتاح الآن هو الجهاد مع الإخوة الأفغان ، ولكننا نستطيع أن نُقوِّي الجهاد في فلسطين بالدعم المادي ، والدعم الأدبي ، والأموال ، وقد بدأت الهيئة الخيرية

---

(١) رواه أبو داود في الصلاة (٤٦٢) ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٣٩)، عن ابن عمر .

الإسلامية هنا في البحرين ، بتوصيل مبالغ إلى الثورة الإسلامية الشعبية هناك ، والحمد لله . فمَن يستطيع أن يدفع ماله نؤيِّده في هذا .

ولا ينبغي أن نحدث تعارضًا بين الجهاد في هذه المنطقة أو تلك ، فالجهاد في جميع المناطق المستضعفة واجب علينا ، ما دام أنه جهاد ترتفع فيه راية الإسلام ؛ لأنه للأسف هناك بعض أنواع القتال ترفع فيه رايات غير راية الإسلام ، كالماركسية ، واليسارية ، وغيرها ، وتدخل باسم الثورية ، وتقطف بعد ذلك ثمار ما يصنعه المسلمون . وهم مدربون على سرقة جهود غيرهم ، فيسكتون حتى إذا جاء الوقت المناسب يهبُّون ويَثِبون حتى يقطفوا ثمار غيرهم ، وما زرعوا شيئا ولا غرسوا .

دعاء ليلة النصف من شعبان :

السؤال : يقول الله تعالى : ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ (الرعد:٣٩) **، هل تتغيَّر بالدعاء مقدَّرات مكتوبة في اللوح المحفوظ ؟**

الجواب :

هذا الأخ يسأل عن الدعاء الذي يُقال في النصف من شعبان ، كنا نقوله في الصِّغر ، حيث كنا نذهب في ليلة

النصف من شعبان ، إلى مسجد (المتولي) الموجود في بلدتي وكنا نقوم بعمل مراسم معيَّنة ، فنصلِّي ركعتين بنية طول العمر ، وركعتين بنية الغنى عن النَّاس ، ونقرأ يس وسوراً وآيات أخرى ، ثم ندعو بدعاء معروف : اللهم يا ذا المنِّ ولا يُمَنُّ عليه ، يا ذا الجلال والإكرام ، ويا ذا الطَّول والإنعام .

وفيه : اللهم إن كنتَ كتبتني عندك في أمِّ الكتاب شقيًّا أو محرومًا أو مطرودًا ، أو مقتَّرًا عليَّ في الرزق ، فامحُ الله بفضلك شقاوتي وحرماني وطردي وإقتار رزقي ، وأثبتني عندك في أمِّ الكتاب سعيدًا مرزوقًا موفقًا للخيرات كلِّها ، فإنك قلتَ وقولك الحقُّ ، في كتابك المنزَّل على رسولك المرسَل ، ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ (الرعد:٣٩) .

أولا : هذا الكلام مخالف للأدب النبوي في الدعاء ، إن كنتَ فعلتَ كذا ، فافعل لي كذا ، فإن النبي ﷺ لما سمع رجلا يدعو ويقول : اللهم اغفر لي إن شئتَ . فقال ﷺ : « لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئتَ ، ارحمني إن شئتَ ، ارزقني إن شئتَ ، وليعزم مسألته ، إنه يفعل ما يشاء لا مُكْرِهَ له »[1].

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في التوحيد (٧٤٧٧) ، ومسلم في الذكر (٢٦٧٩) ، عن أبي هريرة .

ثانيا : في الدعاء (إن كنت كتبتني في أم الكتاب شقيًّا أو محرومًا أو مطرودًا ، أو مقتَّرا عليَّ في الرزق ، فامْحُ اللهم بفضلك شقاوتي وحرماني وطردي وإقتار رزقي ، وأثبتني عندك في أمِّ الكتاب سعيدا مرزوقا موفَّقا للخيرات كلِّها ، فإنك قلتَ وقولك الحقُّ في كتابك المنزَّل على رسولك المرسَل ، ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ (الرعد:٣٩) .

فالمعلوم أن معنى قول الله تعالى : ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ (الرعد:٣٩) ، أي : لا محو فيها ولا إثبات ، ومن أخذ النصَّ بظاهره قالوا : يمحو صحف الملائكة . وقيل : آيات القرآن فينسخ آية ويثبت أخرى . وهكذا ، فالكلام متناقض ، والدليل الذي استدلُّوا به يناقض الدعوى نفسها .

وهذا كلُّه بسبب اعتماد أدعية غير مأثورة ، مع أنه ليس هناك أفضل من الأخذ بالأدعية المأثورة . وقد كنا في وقت من الأوقات نحفظ أوراقًا بجهل منَّا ، يحفظها الصوفيون ، وحفظناها منهم ونحن أولاد صغار ، فكنَّا نقول كلامًا لا نفهم له معنى ، مع أنه ليس هناك أفضل من أدعية القرآن ولا من أدعية السنة .

هل هناك أفضل من هذه الأدعية : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (البقرة:٢٠١) ؟

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (البقرة:٢٨٦).

أو دعاء الراسخين في العلم : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ (آل عمران:٨-٩).

أو دعاء سيدنا إبراهيم : ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ (إبراهيم:٤٠،٤١) .

أو دعاء نوح : ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾

(نوح:٢٨) .

هل هناك أفضل من دعاء النبي : « اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ،

وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة لي من كل شر »[1].

هل هناك أفضل من هذه الأدعية ، وفيها أجران : أجر الدعاء ، وأجر الاتباع .

ولكنك ترى النَّاس تخترع أدعية ، ولذلك لا تخلو من الخرافات والأوهام ، وواجبنا الاهتمام بأدعية القرآن والسنة وهي كثيرة ، أُلِّفَتْ فيها كتب مثل : كتاب (الأذكار) للإمام النووي ، و(الكلم الطيب) لابن تيمية ، و(الوابل الصيب) لابن القيم ، و(الحصن الحصين) لابن الجزري ، وتحفة الذاكرين للشوكاني شرح فيه (الحصن الحصين) لابن الجزري .

حكم العمل الجماعي :

السؤال : هل يجب على المسلم الانضمام إلى جماعة من الجماعات الإسلامية ؟ وهل هذه الجماعات الإسلامية ظاهرة صحيَّة ، وهل كلُّها صحيحة ؟ أم أنه لابدَّ من الانضمام إلى جماعة معيَّنة ؟ وهل يجوز لأحد أن يدَّعي أن جماعته هي جماعة المسلمين ، وأنها الفرقة الناجية ، دون غيرها من الجماعات ؟

---

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٠) ، عن أبي هريرة .

الجواب : أما بالنسبة للعمل الجماعي ، فأنا أرى أنه واجب في عصرنا ؛ لأن العمل الفردي لا يكفي ، والإنسان لا يستطيع أن يقاوم القوى المعادية للإسلام ـ وما أكثرها ـ وحده ، أو بجهد فردي .

هناك اليهودية العالمية ، والشيوعية الدولية ، والصليبية الغربية والشرقية ، والأجهزة التي تعمل لحسابهم ، والعملاء لهم داخل بلاد العرب والمسلمين ، وهي قوى خطيرة ومجهَّزة بالعلم والمال والدهاء ، ولا يستطيع الإنسان أن يقاوم هذا وحده ، ولذلك أمرنا الإسلام بالتعاون : ﴿ **وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ** ﴾ (المائدة:٢).

وأمرنا بالتجمُّع : « يد الله مع الجماعة »[1]. والفرد قليل بنفسه كثير بإخوانه ، ضعيف بمفرده قوي بجماعته .

وموسى عليه السلام كان قويًّا ، ومع هذا قالت ابنة الشيخ الكبير في مدين : ﴿ **إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ** ﴾ (القصص:٢٦) ، ومع هذا لما أمره الله بالذهاب لفرعون ، قال : ﴿ **رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ**

---

(١) رواه الترمذي في الفتن (٢١٦٦) وقال : حسن غريب ، وصححه الألباني في إصلاح المساجد(٦١) ، عن ابن عباس .

﴿ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ (طه:٢٥-٣٥).

وقال له الله تعالى : ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ (القصص:٣٥).

فحين تكون وحدك ، تكون ضعيفًا ، قال ﷺ : « إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية »[1] . والشيطان ذئب الإنسان ، فشُدَّ عضُدك بمجموعة تكونون معًا ، يُعَلِّم العالمُ الجاهلَ ، ويذَكِّر الذاكرُ النَّاسيَ ، وينَبِّه اليقظ الغافل ، وهكذا تتعاونون على البرِّ والتقوى ، وتتواصون بالحقِّ والصبر .

فأرى أن العمل الجماعي مهم ، وخاصة في عصرنا ؛ لأنه لو لم يوجبه الإسلام ، لأوجبه الواقع والظروف ، إن أعداءنا لا يعملون منفردين ، وإنما يعملون في شكل كُتَلٍ وجماعات ، ولهذا ينبغي أن نعمل ، ومن أجل هذا قامت هذه الجمعية ، جمعية الإصلاح .

---

(١) رواه أحمد(٢١٧١٠) ، وقال مخرجوه : إسناده حسن ، وأبو داود في الصلاة (٥٤٧) ، والنسائي في الإمامة(٨٤٧) ، والحاكم في التفسير (٤٨٢/٢) وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي ، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٥٥٦) ، وصحح النووي إسناده في خلاصة الأحكام (٧٨٤) عن أبي الدرداء .

يقول الشيخ محمد عبده في قول الله تعالى : ﴿ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ (الفجر:١٧،١٨) ، (أي : لو كان غنيكم لم يعمه الطغيان ، وفقيركم لم يطمس بصيرته الهوان ، وكنتم لا تزالون على الحال التي يرتقي إليها الإنسان ، لشعرت نفوسكم بما عسى يقع فيه اليتيم ، فعنيتم بإكرامه .

فإن الذي يفقد أباه معرض لفساد طبيعته ؛ إذا أهملت تربيته ، ولم يعامل بما فيه إكرامه ، وما فيه رفع نفسه عن دنايا الأمور وسفاسفها ، ولو كنتم على ما تحدثكم به أنفسكم من الصلاح ؛ لوجدتم الشفقة تحرك قلوبكم إلى التعاون على طعام المسكين ، الذي لا يجد ما يقتات به مع العجز عن تحصيله .

والتحاض تفاعل من الحض وهو الحث والترغيب . . . وإذا لم تكرموا اليتيم ولم يوص بعضكم بعضا المسكين فقد كذبت مزاعمكم في أنكم من قوم صالحين .

وإنما ذكر التحاض على الطعام ولم يكتف بالإطعام ، فيقول : ولم تطعموا المساكين ، ليصرح لك بالبيان الجلي أن أفراد الأمة متكافلون ، وأنه يجب أن يكون لبعضهم على بعض عطف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مع التزام كل لما يأمر به وابتعاده عما ينهي عنه .

ثم إن إهمالكم أمر اليتيم وخلو قلوبكم من الرحمة للمسكين لم يكن عن زهد في لذائذ الحياة الدنيا ، كما هو شأن بعض من يسأم الحياة ولا يكون لهم هم إلا التخلص من متاعبها فيعكف على شأن نفسه ، وينخزل من العالم ولا يهتم بشؤونهم)[1] . وهذا أصل قرآني في إقامة الجمعيات الخيرية ، فقول الله : ﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ ﴾ ، أي لم يحض بعضكم بعضًا على إطعام المسكين ، فليس الواجب أن تطعم مسكينا فقط ، بل أن تَحُضَّ غيرك أيضا على إطعام المسكين .

وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ﴾ (آل عمران:١٠٤) ، فقال : ﴿ أُمَّةٌ يَدْعُونَ ﴾ ، ولم يقل أفرادًا ، وهذا الذي ينبغي .

وليس معنى هذا أن جماعة واحدة تحتكر الحق ، وتقول : أنا وحدي الحق ، وما عداى هو الباطل ، أو أنا جماعة المسلمين ، وغيري ليس من المسلمين . فهذا لا يصحُّ مطلقًا .

ويمكن أن تكون جماعة أفضل من جماعة ، وأهداف جماعة أقوى من الأخرى ، ووسائلها أقرب إلى السداد والنجاح من وسائل الجماعة الأخرى ، وطرقها في التربية

---

(١) تفسير جزء عم محمد عبده صـ ٨٢ ، ٨٣ . الناشر : الجمعية الخيرية الإسلامية ، ط . الثالثة ١٣٤١هـ .

وتكوين الشباب هي أفهم لدينها ولدنياها من الجماعة الأخرى ، وهذا الذي تتفاضل به الجماعات .

ولي رأي كتبتُه أكثر من مرة ، هو أن تعدُّد الجماعات ليس ظاهرة مَرَضية ، فقوْم لهم اهتمام بالجانب العقائدي أكثر ، وقوم لهم اهتمام بالجانب الفكري أكثر ، وقوم يهتمُّون بالجانب السياسي أكثر ، وقوم مهتمُّون بالجانب الجهادي أكثر ، وقوم مهتمُّون بالعمل الخيري والاجتماعي ، وآخرون مهتمُّون بجانب الأسرة ، وليكن الأمر هكذا ، كلُّ فريق يعمل في الطريق الذي يستطيع السير فيه ، وينتج فيه أكثر ، وكلُّ ما نرجوه أن يكون هذا الاختلاف اختلاف تنوُّع لا اختلاف تضاد .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلمة فيما يُروى عن السلف في قول الله تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة:٦) قال بعضهم : الصراط المستقيم هو الإسلام[١] . وقال بعضهم : هو السنة والجماعة[٢] . وقال بعضهم : هو القرآن[٣] . وقال

---

(١) رواه الحاكم في التفسير (٢/٤٤٦) ، وصححه على شرطهما ، ووافقه الذهبي ، عن جابر بن عبد الله .

(٢) تفسير البغوي (١/٥٤) ، عن سهل بن عبد الله .

(٣) رواه الحاكم في التفسير (٢/٤٤٦) ، وسكت عنه ، وصححه الذهبي على شرطهما . عن عبد الله بن مسعود .

بعضهم : هو سنة الخلفاء الراشدين[1] . فقال : ومعلوم أن المسمى هو واحد وإن تنوعت صفاته وتعددت أسماؤه وعباراته[2].

ونحن نريد أن يكون الاختلاف بين الجماعات الإسلامية اختلاف تنوُّع لا اختلاف تضاد ، على أن يقف الجميع صفًّا واحدًا في القضايا المصيرية ، ففي محاربة الشيوعية نقف جميعًا في صفٍّ واحد ، وضدَّ الإلحاد كذلك ، وضدَّ الإباحية كذلك ، فالقضايا التي تهم المسلمين يجب أن يقف الجميع صفًّا واحدًا ، ونتناسى الخلافات .

ومن ناحية أخرى يجب علينا أن لا يجرِّح بعضنا بعضا ، فهناك بعض النَّاس طويلو اللسان ، كثيرو الاتهام ، يسيئون الظنَّ بمَن سواهم من المسلمين ، مغرورون بأنفسهم ، ويظنُّون أنهم واقفون على باب الجنة ، ويقولون لهذا : أنت ادخل ، وأنت لا تدخل . مَن أعطاك هذا الحق ؟ !

الإسلام ليس فيه بابوية ، وليس فيه صكوك غفران ، ولا قرارات حرمان ، فالمسلمون كلُّهم يعملون ، فلا ينبغي أن يكون نتيجة اختلاف الجماعات الإسلامية مع بعضها البعض ،

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (١/١٢٠) ، عن بكر المزني .
(٢) مجموع الفتاوى (١٣/٣٨٢) .

التجريح والاتهام وسوء الظنِّ ، بل ينبغي أن يكون التسامح والتعاون ، فيسامح بعضنا بعضا ، وهناك قاعدة ذهبية قالها الشيخ رشيد رضا رحمه الله ، وتبنَّاها وطبَّقها الإمام الشهيد حسن البنَّا ، تقول هذه القاعدة : نتعاون فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه[1] .

فهناك أمور كثيرة نتَّفق عليها ، فاجعلونا ننظر إلى ما اتَّفقنا فيه ونتعاون فيه ، وما اختلفنا فيه فليعذر بعضنا بعضًا فيه ، ويسامح بعضنا بعضًا ، فكلٌّ واحد له عذره وله تأويله الخاص ، وهذا الذي ينبغي .

ويظنُّ بعض النَّاس أن كلمة الجماعة تعني الفِرقة ، وهذا غير صحيح ، فكلُّ هذه الجماعات التي تعمل للإسلام ، هي إن شاء الله من الفِرقة الناجية ، أو من الأمة الناجية .

فالناجية ـ حقيقة ـ ليست فِرقة ، فالمفترقون هم الفِرَق ، والباقي هم الأمة ، ونحن جميعا ـ إن شاء الله ـ من الأمة الناجية ، ونسأل الله أن يجمع كلمة المسلمين على الهدى .

وأنا أنصح الشباب الإسلامي الذي ينتمي إلى جماعات معينة ، أن ينظر إلى الأمور بعين فيها إنصاف ، وفيها سَعَة أُفُق ،

---

(١) مجلة المنار (٤٧١/٣٥) ، مقال بعنوان : انتقاد المنار حول فتوى آيات الصفات وأحاديثها .

انظر إلى الأعداء المتربِّصين ، الذين يريدون أن ينتهزوا الفرصة ليضربوا بعضنا ببعض ، وهذا ما يفعلونه ، فتصوَّروا من عدَّة سنوات ـ وقد ذكرتُ هذا في بعض كتبي ـ أن (**ريتشارد ميتشيل**) كتب كتابا ضدَّ الإخوان المسلمين ، ثم ذهب إلى الكويت ، فرآه بعض النَّاس هناك فقال : ماذا تفعل هنا ؟ فقال : أعمل دراسة عن الجماعات الدينية الإسلامية في الكويت .

فبالله عليكم ، هل يريد هذا بحثا ليرى نقاط الاتفاق ، أم يريد أن يعرف الخلافات التي بينها ، ثم تُوضع الخطط لتوسيع هُوَّة الخلافات ، واستغلال هذه الخلافات واستثمارها ، حتى لا يتعاون بعضهم مع بعض ، فيجب علينا أن نحذر ونتعاون .

الله تعالى يقول : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ** ﴾ (آل عمران: ١٠٠)، وأسباب النزول في هذه الآية تدل على أن المعنى : يردوكم بعد وحدتكم متفرِّقين ، وبعد أُخوَّتكم متنافرين ومتعادين ، فلنحذر من دسائس هؤلاء .

السؤال : ما حكم تعليم البنات ، علما بأن بعض الفقهاء يُقصر التعليم على المرحلة الابتدائية فقط ؟

الجواب : والله لقد سمعتُ هذا الرأي من عالم جليل ، وذلك من مدَّة تقارب العشر سنين ، فقال : بقصر تعليم البنات على المرحلة الابتدائية فقط .

فقلتُ له : ومَن يعلم بنات الابتدائي ؟ فنحن محتاجون إلى معلِّمات لبنات الابتدائي .

ثم سألتُه : ما رأيك بالطبيبة ؛ ألسنا بحاجة إلى الطبيبات لتطبيب النساء والأطفال وغير ذلك ؟ !

قال : أجاز العلماء للرجل أن يُطَبِّب المرأة .

قلتُ : ولكن لضرورة ، ولا ينبغي أن تصبح الضرورات قواعد ، فقاعدة الضرورة استثناء فقط . هذا شيء مؤقَّت ، وينبغي أن نتغلَّب على الضرورة .

لقد أجاز الله أكل الميتة في الضرورة ، فهل تجلس طوال عمرك تأكل الميتة ؟ ! لم تَعُدْ إذن ضرورة ، لا بدَّ أن تبحث لنفسك عن طعام .

فدورنا نحن حتى لا نُضطر أن نعالج نساءنا عند الرجال ، أن نجعل من بناتنا طبيبات ، فقد تُضطر المرأة أن تذهب للرجل ، وخصوصًا في أمور النساء والولادة ، بل قد تُضطر للذهاب لرجل غير مسلم .

فلذلك تعليم المرأة لا شيء فيه ، حتى تكون مثقَّفة ، ويكون هناك تقارب بينها وبين أهلها ، فقد ظنَّ بعض الرجال أن المرأة للطهي والغسل والمتاع وفقط ، وهذا ليس صحيحا ، فقد قال رسول الله ﷺ : « النساء شقائق الرجال »[1] . فالمرأة شقيقة الرجلِ ، ولها أن تستفيد بالتعلُّم كما يستفيد الرجل ، فالرجل المثقف إن تزوج بأُمِّيَّةٍ ، فهذا يؤدِّي إلى خَلْق فاصل بين الزوجين ، يظهر في النقاش ، وهذا ما نراه في حال بعض الناس .

فبعض الرجال يتزوَّج بامرأة ، ثم يجعلها للطهي والغسيل والتنظيف ، ويجلس هو مع أصدقائه يتناقش معهم . وهذه ليست الحياة الزوجية التي أرادها الإسلام .

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:٢١) ، فالسُّكون والمودة والرحمة لا يتحقق إلا بالتفاهم ، والتفاهم يحتاج قدْرًا من الثقافة المشتركة .

---

(١) رواه أحمد (٢٦١٩٥)، وقال مخرجوه : حديث حسن لغيره ، وأبو داود في الطهارة (٢٣٦) ، والترمذي (١١٣) وقال أبو عيسى : وإنما روى هذا الحديث عبد الله بن عمر عن عبيد الله بن عمر ، وعبد الله ضعَّفه يحيى بن سعيد من قبل حفظه، كلاهما في الطهارة ، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٥)، عن عائشة .

وإذا نظرتَ إلى امرأة كعائشة رضي الله عنها ، تجدها مثقَّفة ، بل من كبار المثقفات ، فقد كانت تستدرك على الصحابة رضوان الله عليهم ، والإمام الزركشي ألَّف في ذلك كتابا سمَّاه (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة) ، ولخَّصه الحافظ السيوطي في كتاب سماه (عين الإصابة في استدراكات عائشة على الصحابة) . وكانت رضي الله عنها ، تعرف الأنساب ، وتعرف شعر العرب ، وكانت من المُفْتِيات .

وعلى مدار العصور الإسلامية وُجد بعض النساء المسلمات قد بلغن في العلم مرتبة عظيمة ، ومن هؤلاء النساء : فاطمة بنت علاء الدين السمرقندي ، قال صاحب : (الجواهر المضية) في فقه الحنفية ، تعلمتْ وصارتْ تُفْتي كأبيها ، ثم تزوجها تلميذه الكاساني صاحب (البدائع) ، الذي ألَّف كتابًا شرح فيه (تحفة الفقهاء) . ولذلك قالوا : شرح تحفته وزوجه ابنته . وقد كانت الفتوى تخرج موقعة من الثلاثة أحيانًا : السمرقندي ، والكاساني ، وامرأة الكاساني[1].

فلا مانع أن تتعلَّم المرأة ، ونحن نعلم أن سعيد بن المسيب رفض أن يزوِّج ابنته لابن الخليفة ، وزوَّجها من أحد طلاب

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٢/٢٧٨) .

العلم ، بل ذهب بها إليه ، فلما أصبح الصباح أراد أن يخرج ، فقالت له : إلى أين ؟ قال : أريد درس سعيد . قالت : اجلس أعلمك علم سعيد[1] .

فالمرأة ليست أقل ذكاءً من الرجل ، بل إن بعض النساء يفوق بعض الرجال في الذكاء ، كما قال المتنبي :

فلو كان النساء كمن فقدنا لفُضِّلتْ النساء على الرجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ولا التذكير فخرٌ للهلال

فلماذا نَسُدُّ الباب على النساء والبنات ، فليس هناك من الشرع ما يمنع هذا ، والحديث المشهور : « طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم »[2] . والعلماء مجمعون على أن المقصود بالمسلم كل إنسان مسلم ، ولذلك بعض مَن يروونه بالمعنى يقولون : ومسلمة .

المُقدِّم : لعلنا ـ أيها الإخوة ـ أطلنا عليكم وعلى فضيلة الشيخ ، فنكتفي بهذا القدر ، وجزاكم الله خيرا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

---

(١) المدخل للعبدري (١/٢١٥) .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٩) ، والبيهقي في الشعب باب في طلب العلم (١٦٦٥) ، وابن ماجه في الإيمان (٢٢٤) ، عن أنس ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٨٣) .